HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة (التصنيف: NSP)
معامل التأثير العربي للعام 2020 = 0.44

عنوان البحث

نظرات في مكانة المرأة ودورها في تنمية المجتمع وتطويره من خلال السيرة النبوية

نجيب بنمسعود[1]

[1] طالب في السنة الثانية من التعليم النهائي العتيق، معهد أبي بكر الصديق، فاس. مهتم بالسيرة النبوية وتطبيقاتها على الواقع المعاصر.
بريد الكتروني: wassimrifi123@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/08/01م تاريخ القبول: 2021/07/18م

المستخلص

يهدف هذا العمل إلى تسليط الضوء على مكانة المرأة في الإسلام ودورها في تنمية المجتمع.

وقد اقتضى مني هذا إلى التمهيد للموضوع بمقدمة مناسبة قبل أن أنتقل بعد ذلك إلى إبراز الدور الذي لعبته المرأة في مختلف الميادين والمجالات بحضور النبي –عليه الصلاة والسلام– وبتشجيع منه على مواصلة هذه الأنشطة، مع إظهار الجانب المبادِر لها في ذلك الحين.

الكلمات المفتاحية: المرأة - تكريم النبي للمرأة - تنمية المجتمع – دور المرأة.

RESEARCH ARTICLE

LOOKS AT THE STATUS OF WOMAN AND HER ROLE IN THE DEVELOPMENT OF SOCIETY THROUGH THE BIOGRAPHY OF THE PROPHET MUHAMMAD (PEACE BE UPON HIM)

Najib Benmassaoud[1]

[1] A student in the second year, final Quranic education, Abou Baker Assiddik institute, Fez.
Interested in the prophetic biography and its applications on the modern worl.
Email: wassimrifi123@gmail.com

Published at 01/08/2021 **Accepted at 18/07/2021**

Abstract

This work aims to shed light on the status of woman in Islam and her role in the development of society. This necessitated me to preface the topic with an appropriate introduction before moving on to highlighting the role that woman played in various fields in the presence of the Prophet, peace and blessings be upon him, and with encouragement from him to continue these activities, while showing the woman's initiative side at that time as well.

Key Words: Woman - The Prophet's honouring of woman - Community Development- Woman's role.

مقدمة

إن من فضل الله وعظيم منته على الإنسان أن خلقه على شكل زوج متلازم، هذا يلازم هذا، وهذا يكمل ما يفتقر إليه هذا، فالمرأة خلقها الله عز وجل من ضلع الرجل لتؤنس وحشته ويسكن إليها، والرجل خلقه الله عز وجل قبل ذلك ليؤنس وحشة المرأة وتسكن إليه، فالمرأة للرجل خلقت، ولها خلق الرجل، لا فضل لأحد على أحد، ولا خصوصية لأحد على الآخر، إلا الخصوصيات الفسيولوجية والسيكولوجية المعروفة، وكان من المفروض أن تستمر الحياة هكذا، وأن يعيش كل من الذكر والأنثى جنبا إلى جنب في علاقة زوجية تكاملية، إلا أنه لما انتكست فطر أهل الجاهلية، وتخلّوْا عن مبادئهم، استغلوا ضعف بنية المرأة ففرضوا عليها السلطة والاستبداد، وجردوها من جميع حقوقها التي وهبها الله لها، واستمروا مدة على هذا الحال حتى بزغ فجر الإسلام بقيادة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه الذي حرر المرأة من جديد، وأعاد لها كامل حقوقها، وجعل لها الصدر في اهتماماته، ولدينا مخزون هائل من الشواهد والمواقف التي تثبت أن النبي ﷺ قد أكرم المرأة فعلا وأعطى لها مكانة سامية في المجتمع، فقد أذِن لها النبي ﷺ وشجعها على المشاركة مع الرجل جنبا إلى جنب في مختلف الميادين والمجالات، إلا أن الحاقدين على هذه الأمة الطيبة المباركة يبذلون قصارى جهدهم لطمس هذه الحقائق وإظهارهم بهتانا وزورا أن الإسلام ظلم المرأة المسكينة وهضم حقوقها، وذلك في محاولة منهم لإحراجها ودفعها نحو الإحساس بالدونية، حتى يسهل عليهم الانقضاض عليها. وقبل الشروع في صلب الموضوع لا بأس من إلقاء نظرة سريعة عن المرأة في أصل الخلق ثم أحوالها قبل مجيء الإسلام.

1-المرأة في أصل الخلق:

يقول الله -تعالى- في محكم تنزيله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**[1]﴾، انطلاقا من هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن النفس الواحدة هي أساس الخلق، وهي في الأصل لا تحمل أية صفة جنسية، لا ذكورة ولا أنوثة، فلا الرجل يمكن أن يزعم أنه الأصل ولا المرأة كذلك، وكون آدم عليه السلام أسبق في الخلق لا يعني أنه الأصل، فهو الأصل بالمعنى الزمني، وليس بالمعنى الوجودي، ولا حواء كذلك، وليس الأمر كما يزعم البعض أن المرأة فرع عن الرجل، أو أن الرجل فرع عن المرأة، وإنما هي نفس لا تحمل أي سيماء جنسية، وفي هذا من التساوي الوجودي ما فيه[2].

2-لمحة حول ظروف عيشها قبل مجيء الإسلام:

كان المجتمع الجاهلي قبل مجيء الإسلام مجتمعا ذكوريا بامتياز، فقد استغل هؤلاء القوم قوتهم الجسمانية وخشونتهم لإلحاق الأذى بالمرأة الضعيفةِ البنيةِ التي تفتقر لمثل هاته القوة، وأذاقوها أبشع أنواع العذاب، جردوها من الكرامة الإنسانية، واعتبروها رمز الشر والعار، وكانوا يتخلصون منها عن طريق وأدها وهي لا تزال وليدة، واستمرت هذه العادات السيئة تجاه المرأة حتى بزغ فجر الإسلام بقيادة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه

---

(1) سورة النساء: الآية 1.

(2) سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة، فريد الأنصاري، ص 24-25، ط الأولى، ت2003م، ألوان مغربية: الرباط.

الذي ردّ لها الاعتبار من جديد، وأعاد لها مكانتها وكرامتها لتطلق عِنان إبداعها، وتفجر طاقتها، وتنطلق مع الرجل جنبا إلى جنب معلنة فُرض وجودها في مختلف الميادين والمجالات، سواء الميدان الاقتصادي، أو الميدان السياسي والعسكري، أو الميدان التربوي والاجتماعي، وهذا ما سأحاول أن أبينه –إن شاء الله تعالى– من خلال العناصر والنقاط التالية.

المجال السياسي

تكريمه ﷺ للمرأة يظهر من خلال عدة مواقف من بينها إشراكها معه في هذا المجال، وتشجيعه لها لمواصلة المسير جنبا إلى جنب مع الرجل لبناء المجتمع.

1–مواقف النساء مع رسول الله في البيعة (مشاركتهن في اختيار ممثل الأمة):

إن البيعة معناها: توثيق العَهْد بين المبايِع من جمهور المسلمين والمبايَع لَه من الولاة على السَّمْع والطاعة في العُسر واليسر، والمنشط والمَكْره، وتفويض الأُمُور إليه، وطاعته في المعروف، دون شِقاق ولا مُنازَعة[3]، وتعتبر البيعة بمثابة الانتخابات في عصرنا الحاضر لاختيار من يتولى مسؤولية الأمور، فقد أكرم النبي ﷺ المرأة بهذا الحق وكانت من المبايعات له، وأخذ رسول الله ﷺ منها البيعة كما أخذ من الرجال، وشاركت النسوة في هذا العمل الجليل، وخلد الله سبحانه وتعالى هذا الحدث العظيم في كتابه العزيز حيث يقول عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[4]

كما شاركت المرأة أيضا في البيعة تحت الشجرة –شجرة الرضوان– في البيعة المعروفة ببيعة الموت، وذلك أن النبي ﷺ حين خرج للحديبية خرج معه من النسوة أربع، هن: زوجه أم سلمة، وأم عمارة، وأم منيع، وأم عامر الأشهلية رضي الله عنهن، فلما أرسل المصطفى ﷺ عثمان بن عفان لأهل مكة وأقام ثلاثة أيام فيها وأشيع في المسلمين أن عثمان ﷺ قتل، قال ﷺ عندما بلغه ذلك: **(لا نبرح حتى نناجز القوم)**، أي: نقاتلهم، ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، بعد أن قال لهم: إن الله أمرني بالبيعة، فعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: بينما نحن جلوس قائلون –أي في وقت القيلولة– إذ نادى منادي رسول الله ﷺ وهو عمر بن الخطاب ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة، نزل الروح القدس فاخرجوا على اسم الله، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة فبايعناه، أي بايعه الناس على عدم الفرار، وأنه إما الفتح وإما الشهادة، ولم يتخلف أحد سوى الجد بن قيس[5].

ونص هذه الرواية وغيرها من الروايات توحي أن النسوة السابق ذكرهن بايعن ضمنا مع المسلمين، ولا غرابة

---

[4] سورة الممتحنة: الآية 12.

[5] السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، ج 2، ص 701، ت 1990م، دار المعرفة: بيروت.

في بيعتهن على الموت؛ لأنهن كن يشاركن في القتال من قبل ومن بعد[6].

يقول أبو شقة[7] معلقا على حدث بيعة العقبة: إن مبايعة النبي ﷺ لها عدة دلالات:

أولا: استقلالية شخصية المرأة، وأنها ليست مجرد تابع للرجل، بل هي تبايع كما يبايع الرجل.

ثانيا: بيعة النساء هي بيعة الإسلام والطاعة لرسول الله ﷺ، وهذا يستوي فيه الرجال والنساء.

ثالثا: مبايعة النساء للنبي ﷺ تقوم على أساسين:

أ-باعتباره ﷺ المبلغ عن الله.

ب-باعتباره إمام المسلمين.

وفي هذا الصدد يقول مصطفى السباعي[8]: (الإسلام لا يمنع من إعطاء المرأة هذا الحق، فالانتخاب هو اختيار الأمة لوكلاء ينوبون عنها في التشريع ومراقبة الحكومة، فعملية الانتخاب عملية توكيل، يذهب الشخص إلى مراكز الاقتراع فيدلي بصوته فيمن يختارهم وكيلا عنه في المجلس النيابي يتكلمون باسمه، ويدافعون عن حقوقه، والمرأة في الإسلام ليست ممنوعة من أن توكل إنسانا بالدفاع عن حقوقها والتعبير عن إرادتها كمواطنة في المجتمع).

فقصر الحقوق السياسية على الرجل فقط دون النساء ليس ذنب الإسلام، وإنما هو ذنب بعض المتحدثين باسمه، والإسلام من هذا الادعاء بريء.

2-لجوئهن السياسي (الهجرة إلى الحبشة):

كما شاركت المرأة في البيعة التي تعتبر من القضايا السياسية الكبرى شاركت كذلك في الذود عن قضيتها (الرسالة) والدفاع عنها بكل ما أوتيت من قوة وطاقة، وقررت أن تضحي بكل ما تملك على أن تتراجع عنها إلى الوراء قيد أنملة، وهذا يظهر جليا في مقاومتها وصبرها واحتسابها عندما ضيق كفار قريش الخناق عليهم في مكة، وقطعوا عليهم الأكل والشرب، بل أذاقوهم عذابا شديدا بسبب إيمانهم، ولم يكن لهم حيلة للخروج من قبضة هؤلاء الأعداء إلا عن طريق الهجرة وطلب اللجوء السياسي في دولة أخرى تضمن لهم الأمن والعيش الكريم ريثما يتسنى لهم بناء دولة مستقلة بعيدا عن هؤلاء المعاندين، فلما أذن النبي ﷺ للمسلمين بالهجرة الأولى إلى الحبشة كان من بين هؤلاء المهاجرين خمس نسوة، فقد ذاقت المرأة في هذه الهجرة معاناة ومشقات وفاء لدينها، ونصرة لقضيتها، وإظهارا لإيمانها بأن هذه المسؤولية يتحملها الرجل والمرأة على حدّ سواء، لا تقتصر على أحد دون آخر، وفي مطلع السنة السابعة شاركت المرأة مرة أخرى في الهجرة الثانية إلى الحبشة وهذه المرة كان العدد أكبر من ذي قبل مما يوحي لنا أنه فعلا كان للمرأة دور بارز في إصلاح المجتمع والاهتمام بالشؤون السياسية كما باقي الشؤون

---

[6] المرأة المسلمة في موكب الإصلاح السياسي والاجتماعي، أسامة أبو زيد، ص 100، ط الأولى، ت 2009م، شروق للنشر والتوزيع: مصر.

[7] تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة، ج 2، ص 425، ط السادسة، ت 2002م، دار القلم: الكويت.

[8] المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص 124، ط السابعة، ت 1999م، مكتبة الوراق: السعودية.

الأخرى، والنبي ﷺ قد أشاد لها بهذا الدور البطولي المميز الذي قامت به، فهذه أسماء بنت عميس إحدى المشاركات في الهجرة إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب قالت لرسول الله: إن رجالا يفخرون علينا ويزعمون أن لسنا من المهاجرين الأولين، فقال رسول الله ﷺ: **(بل لكم هجرتان: هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرهنون بمكة، ثم هاجرتم بعد ذلك)** [9].

3-تكريمه ﷺ للمرأة من خلال السماح لها باتخاذ قرارات طارئة في قضايا سياسية عامة:

إن النبي ﷺ قد أقر المرأة أن تتخذ قرارات في قضايا سياسية عامة تشمل جميع المسلمين بناء على اجتهادها، من ذلك ما فعلته بعض الصحابيات بإعطاء العهد والأمان لمحاربين هربوا من المعركة وطلبوا اللجوء للمسلمين، وقد حدث هذا في عهد النبي ﷺ حيث أعطت الصحابية الجليلة أم هانئ الأمان لأحد المشركين، تقول أم هانئ: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح وقلت له: يا رسول الله، زعم ابن أمي -علي بن أبي طالب- أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: **(قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)**[10].

يتضح لنا من خلال هذه المواقف أن المرأة في عهد الرسالة برزت بشكل قوي في هذا الميدان وذلك من خلال مشاركتها في مختلف الأنشطة السياسية، ومن هنا نستنتج أن المرأة المعاصرة بدورها يحق لها خوض غمار هذه الميادين لتعين الرجل على هذه المسؤولية الكبرى والنهوض بتنمية المجتمع؛ لأنها نصف المجتمع كما يقال.

المجال الاقتصادي

إن مفهوم الدور الاقتصادي للمرأة هو كل نشاط اقتصادي تؤديه من تجارة، وصناعة، وتطريز، وعمل داخل البيت وخارجه إلى غير ذلك من الأنشطة الكثيرة وذلك بهدف إشباع احتياجات الأسرة أو المجتمع من خلال تحقيق فائدة اقتصادية، وقد أكرم النبي ﷺ المرأة وشجعها على المشاركة مع الرجل في مختلف الأنشطة المتعلقة بهذا الميدان.

1-تكريمه ﷺ للصحابيتين: قيْلَة والحَوْلاء من خلال السماح لهن بممارسة النشاط التجاري:

لا شك أن التجارة هي جانب مهم في الميدان الاقتصادي خاصة وأن العرب كان اقتصادهم مبني على هذا الركن، ومع مجيء الإسلام وتحرير المرأة من القيود التي فرضها أهل الجاهلية عليها، فقد برز في هذا المجال نساء كثر اشتهرن بالتجارة وسجلهن التاريخ، فقد كان بالمدينة تاجرة اسمها قيْلَة الأنمارية، فقالت: يا رسول الله إني امرأة أشتري وأبيع، فربما أردت أن أبيع السلعة، فأستام بها أكثر مما أريد أن أبيعها، ثم أنقص حتى أبيعها بالذي أريد. فقال ﷺ: **(لا تفعلي يا قيلة، إذا أردت أن تشتري السلعة فاستامي الذي تريدين أن تأخذي به، أعطيت أو منعت)**[11].

---

[9] الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 8، ص 219، الطبعة الأولى 1990م، دار الكتب العلمية: بيروت.

[10] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، ج 10، ص 567، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، ط الأولى، ت 2001م، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض.

[11] أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، ص 1574، ط الأولى، ت 2012م، دار ابن حزم: بيروت.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كانت امرأة بالمدينة عطارة تسمى "**الحَوْلاء**"، وكانت قد زارت بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تشكو أمر زوجها، فدخل رسول الله ﷺ وقال: **(إني لأجد ريح الحولاء، فهل أتتكم؟ وهل ابتعتم منها شيئا؟)**[12].

2-تكريمه ﷺ للمرأة من خلال إشراكها مع الرجل في ممارسة بعض الصناعات اليدوية:

أ-الغزل والنسج:

إن الغَزْل والنسج هو عبارة عن صناعة الخيوط من الصوف والتي تصير فيما بعد نسيجا أو ملابس وأقمشة يستفيد منها الجميع في شتى الأغراض، وقد امتهنت المرأة المسلمة في عصر الرسالة هذه المهنة الشريفة التي تدر لها أرباحا تساهم بها في تنمية اقتصاد مجتمعها، فقد جاء عن حَشْرَج بن زياد عن جدته -أم أبيه- أنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر سادس ست نسوة، فبلغ رسول الله ﷺ، فبعث إلينا فجئنا فرأينا فيه الغضب فقال: **(مع من خرجتن وبإذن من خرجتن؟)**، فقلن: يا رسول الله، خرجنا نغزل الشعر ونعين به في سبيل الله، ومعنا دواء الجرحى، ونناول السهام، ونسقي السويق، فقال: **(قمن حتى إذا فتح الله عليه خيبرا أسْهَمَ لنا كما أسهم للرجال)**[13].

ب-دبغ الجلود:

برزت في هذه المهنة عدة صحابيات جليلات، من هذه الصحابيات التي امتهن هذه المهنة زينب امرأة عبد الله بن مسعود، كانت امرأةً صانعةَ اليدين تصنع الشيء ثم تبيعه، فلم يكن لعبد الله مال ولا لولده، فعن أم سلمة قالت: أمرنا رسول الله ﷺ بالصدقة فقالت زينب امرأة عبد الله بن مسعود: أيجزيني من الصدقة أن أتصدق على زوجي وهو فقير وبني أخ لي أيتام وأنا أنفق عليهم هكذا وهكذا وعلى كل حال؟ قال: **(نعم)**، قال: **(وكانت صَنَاع اليدين(*))**[14].

ومن خلال هذه النماذج والمواقف يتضح لنا جليا مما لا غبار فيه أن المرأة المسلمة قد أعطى لها الرسول ﷺ كامل الحقوق في ممارسة جميع الأنشطة التي كانت في السابق حكرا على الرجال، وذلك من خلال تشجيع الرسول ﷺ لها لمواصلة نشاطها، أو من خلال سكوته عنها الذي يعتبر إقرارا في حد ذاته؛ لأنه لا يتصور من النبي ﷺ أن يرى أمرا يخالف الشرع ولا ينهى عنه.

3-ممارستها لأنشطة مختلفة خارج المنزل:

---

[12] نفسه، ص 1501.

[13] فتح الودود شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، ج 3، ص 164، ط الأولى، ت 2010م، مكتبة لينة: السعودية.

[*]يقَال امْرَأَة صناع اليدين أو صانعة الْيَدَيْنِ، أي: ماهرة حاذقة مجيدة فِي عمل الْيَدَيْنِ، انظر المعجم الوسيط، لمجموعة من المؤلفين، ج 1، ص 525.

[14] سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، ص 276، ط 2، ت 2015م، دار الحضارة للنشر والتوزيع: الرياض.

إن العمل الطبيعي للمرأة هو عملها داخل البيت من حمل، ورضاعة، وتنشئة للأجيال..، لكن من سماحة الإسلام أنه أباح للمرأة العمل خارج بيتها في حالة الضرورة مراعاة لحاجة المرأة، أو حاجة مجتمعها، فإذا كانت ثمة حاجة شخصية أو اجتماعية تستدعي خروجها للعمل فإن الإسلام يبيح لها ذلك بشروط محددة، مراعاة لكرامة المرأة وصيانة لعرضها، وكانت النساء في عهد الرسول ﷺ يقمن بأعمال حسب قدرتهن، فقامت المرأة بالأعمال الشريفة محافظة على شرفها وكرامتها كمزاولة الأعمال اليدوية من غزل الخيوط والزراعة وبعض الصناعات اليدوية، وفيما يلي بعض النماذج من النسوة اللواتي كن يعملن خارج البيت زمن النبي ﷺ وقد رآهن وأقرهن على ذلك فلم ينكر عليهن، بل هنالك من استأذنته في العمل وأذن لها كما سيأتي.

أ-العمل في الزراعة:

برزت في عهد النبي ﷺ عدة نسوة اشتغلن في المجال الزراعي، من بين هذه النسوة اللواتي حصل لهن موقف مع رسول الله ﷺ وهن يباشرن العمل الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر الصديق-رضي الله عنها- تقول أسماء عن نفسها فيما رواه هشام قال: أخبرني أبي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنت أنقل النوى من أرض الزبير -التي أقطعه رسول الله ﷺ- على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: **(إخ إخ)**[*]، ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه[15].

ب-العمل في الرعي:

عن كعب بن مالك أن جارية لهم كانت ترعى غنما بسَلْع[**]، فأبصرت بشاة من غنمها موتا، فكسرت حجرا فذبحتها فقال لأهله: لا تأكلوا، حتى آتي النبي ﷺ فأسأله، أو حتى أرسل إليه من يسأله، فأتى النبي ﷺ أو بعث إليه، فأمر النبي ﷺ بأكلها[16].

ج-تقيين النساء وتزيينهن:

هذه أم رِغْلَة القُشَيْريّة قالت: يا رسول الله، إني إمرأة مقيّنة، أقيّن النساء وأزيّنهن لأزواجهن، فهل هو حوب[***] فأثبط عنه؟ فقال لها: **(يا أم رِغْلَة قيّنيهن وزينيهن)**[17]، وقد روى الإمام أحمد والحميدي في مسنديهما

---

[*] كلمة تقال للبعير حتى يبرك.

[15] فتح الباري، م.س، ج 9، ص 230.

[**]سَلْع هو جبَلٌ بالمدينةِ، يَقَعُ غَربِيّ المسجدِ النَّبويّ الشَّريفِ على بُعدِ (500) مِترٍ أو أقلَّ.

[16] شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ج 2، ص 351، ت 1410، المطبعة الخيرية: مصر.

[***] أي: إثم.

[17] الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ج 8، ص 390، ط الأولى، ت 1995م، دار الكتب العلمية: بيروت.

عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قالت: (إني قينت عائشة لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها)[18].

عندما نتمعن جيدا في هذه المواقف يتبين لنا أن المرأة الرسالية لم تترك نشاطا من الأنشطة الاقتصادية من تجارة وصناعة وغيرها إلا وشاركت فيه، فإذا كانت قد قامت بهذه المهمات كلها بمرأى النبي ﷺ فهذا يعني أن الشرع قد أعطى لها هذه الحقوق، وهذه الحقوق تبقى صالحة لجميع النساء حتى قيام الساعة، فعلى المرأة المعاصرة أن لا تخجل عند قيامها بهذه المهمات، وأن تقوم بممارستها عن قناعة، كما على ولي أمرها أن يعلم أن هذا حق من حقوقها.

المجال الاجتماعي

إن المجال الاجتماعي هو من أكثر المجالات التي برزت فيه المرأة المسلمة بقوة وأبدعت فيه غاية الإبداع؛ لأنه عبارة عن أنشطة يقوم بها الإنسان تلقائيا، من الزواج، وتربية الناشئة، والقيام بالأعمال المنزلية، وأعمال تطوعية أخرى وغير ذلك من الأنشطة التي تهدف إلى تحقيق المصلحة للفرد والمجتمع، ولأن النبي ﷺ جاء رحمة للعالمين ووضع الحد للعنصرية التي كانت ضد المرأة في الجاهلية فبديهي أن تطلق المرأة عِنان إبداعها وتبرز في هذا المجال أكثر من المجالات الأخرى، وبما أن هذا الميدان هو الذي طغى على المجالات والميادين الأخرى فسأكتفي فقط بذكر بعض النماذج والمواقف التي شاركت فيها المرأة مع رسول الله ﷺ وشجعها أو أقرها على ذلك.

1-تكريمه ﷺ للمرأة من خلال تشجيعها على العمل التطوعي:

أ-خدمة البيئة الاجتماعية (التطوع بتنظيف المسجد):

من الأنشطة البيئية التي قامت بها المرأة في عصر النبوة: خدمة المسجد، وعرف بهذه المهمة امرأة اسمها مِحْجَنَة والتي تلقب بأم مِحْجَن، وكانت امرأة سوداء البشرة، وكانت كما ذكرت الرواية مولعة بتنظيف قمامة مسجد رسول الله ﷺ، توفيت في عهده ﷺ فدفنها الصحابة رضوان الله عليهم دون إعلام النبي ﷺ، فلما افتقدها بعد أيام سأل عنها، فقيل له: إنها ماتت، فقال: **(هلا كنتم آذنتموني؟)**، فأتى قبرها فصلى عليها[19].

ب-التبرع بمنبر للمسجد:

من جوانب اهتمام النساء بالوضع الاجتماعي العام في المساجد، وتطور أساسها ونظافتها، صناعة المنبر الذي رقيه رسول الله ﷺ وخطب عليه صحابته الكرام، وكان هذا من اقتراح تقدمت به، ونفذته امرأة من الأنصار، ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله أن امرأة قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لي

---

[18] مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، إبراهيم الزيبق، محمد بركات، ج 45، ص 571، ط الأولى، ت 2001م، مؤسسة الرسالة: بيروت.

[19] السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 4، ص 78، ط. الثالثة، ت. 2003م، دار الكتب العلمية: بيروت.

غلاما نجارا؟ قال: **(إن شئتِ)**، فعملت المنبر[20].

ج-الخدمات الفندقية الإسلامية وإقامة دور الضيافة والإنفاق عليها:

من مظاهر الكرم التي اشتهر بها العرب قديما ظاهرة ضيافة الغريب وإكرام الضيف، وكانت هذه الظاهرة تحل محل الفنادق في يومنا هذا، إلا أنه في القديم نحت منحى جديدا هو المنحى المؤسسي الذي ارتبط بقيام الدولة الإسلامية، وجعلها ضيافة للمهاجرين ممن لم يصطحبوا أسرهم معهم، أو من لا عريف له، أو العزاب منهم أو الغرباء، كانت مبادرة من الدولة الممثلة في شخص الرسول ﷺ ومحفزا للآخرين، وكانت المرأة المسلمة تشعر بمسؤوليتها كذلك، لذلك بادرت بعض الصحابيات إلى المساهمة في مشروعات الدولة الإسلامية الناشئة وقامت بتنفيذها بحسب الطاقة والقدرة المادية، وتجلى ذلك واضحا في عام الوفود حين أقبلت القبائل إلى المدينة لإعلان إسلامها وولائها للدولة الإسلامية، ومن الصحابيات المتبرعات بدور الضيافة، والإنفاق عليها ما يلي:

-دار أم شَرِيك الأنصارية:

جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لفاطمة بنت قيس: **(انتقلي إلى أم شَرِيك)**، وأم شريك هذه كانت امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان[21].

-دار رَمْلَة بنت الحارث:

لما قفل رسول الله ﷺ راجعا من غزوة تبوك، أتاه وفد بني فَزَارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حِصْن، والحُر بن قيس وهو أصغرهم -ابن أخي عيينة بن حصن-، فنزلوا في دار رَمْلة بنت الحارث من الأنصار، وقدموا على إبل صغار عجاف وهم مُسْنِتُون(*)، فأتوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام[22].

2-حقوق مختلفة أخرى تتعلق باختيار الزوج، وحسن المعاشرة، والحضانة:

أ-حق اختيار الزوج:

إن حق الاختيار بين قَبول الزوج أو رفضه لم تكن تحلم به المرأة في الحضارات والتقاليد القديمة، إذ كان الولي يزوج وليتها متى شاء، ولمن شاء دون مشاورة ولا اعتراض، أما النبي ﷺ فقد غيّر هذا السلوك وهذا الاستبداد، فكان كل شيء مبني على الشورى، وهذا موقفه ﷺ مع امرأة أراد أن يزوجها أبوها لرجل لم ترضه لنفسها وجاءت تشكوه للنبي ﷺ حتى تجد الحل، **فعن خنساء بنت خدام أن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها**[23]، وهذا لا يقتصر على الثيبات فحسب كما قد يُفهم بل حتى الأبكار لا بد من

---

[20] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س، ج 1،ص 647.

[21] صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، ج 18، ص 79، ط. الأولى، ت.1929م، المطبعة المصرية القديمة: مصر.

(*) أي: أخذتهم سنة جدباء جافة.

[22] دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، ج 6، ص 143، ط. الأولى، ت. 1988م، دار الكتب العلمية: بيروت.

[23] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س، ج 9، ص 101.

استئذانهن، فقد نهى النبي ﷺ عن تزويجهن دون موافقتهن كما روى ذلك أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **(لا تنكح البكر حتى تستأذن)**[24]، فهذا دليل واضح وقاطع على أن الإسلام قد أعطى للمرأة مكانة سامية ولم يعتبرها مجرد بضاعة تُنقَل بين الأيادي فيأخذها من يستحقها ومن لا يستحقها.

وهذا موقف آخر لاحترام النبي ﷺ اختيارات المرأة في الزواج، فقد جاء في صحيح البخاري أن مغيثا كان يمضي خلف زوجته بَرِيرَة بعد فراقها له، وقد صارت أجنبية عنه، ودموعه تسيل على خديه، فقال النبي ﷺ: **(يا بن عباس ألا تعجب من حب مُغيث بَريرَة، ومن بغض بَريرَة مغيثا؟ ثم قال لها لو راجعته**. فقالت: أتأمرني؟ **قال: إنما أنا شافع**، قالت: لا حاجة لي فيه)[25].

ب-حسن المعاشرة وتوفير الأمن والحياة الكريمة:

ورد أن نسوة ذهبن إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يشتكين أزواجهن، فقال النبي ﷺ: **(لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم)**[26]، وهكذا أسقط النبي ﷺ خيرية هؤلاء الرجال لمجرد شكوى زوجاتهم، وهذا غاية الإنصاف للمرأة.

ج-الحق في الحضانة:

من رعاية الإسلام للأمومة وحقها وعواطفها أنه جعل الأم المطلقة أحق بحضانة أولادها تقديرا لمكانة الأم في الإسلام، فهذه امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت له يا رسول الله: إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني، فقال لها النبي ﷺ: **(أنت أحق به ما لم تنكحي)**[27].

3-تكريمه ﷺ لها من خلال توظيفها في المؤسسات الصحية:

إن المرأة المسلمة في عهد الرسول ﷺ لم تترك مجالا إلا وقد وضعت بصمتها فيه، فالمؤسسة الصحية هي الأخرى قد أبدعت فيها بمرأى النبي ﷺ وبإقرار منه، فقد كان في مدينة رسول الله ﷺ مؤسسات خدمية صحية عامة، وخاصة ملحقة بمسجد رسول الله ﷺ، شاركت فيها المرأة وبرزت مشاركتها فيها.

أ-خيمة رُفَيْدَة الأسلمية (أول مؤسسة صحية في الإسلام):

كانت هذه الخيمة بمثابة المؤسسة الصحية العامة في يومنا هذا، إذ كانت تشرف على تطبيب المرضى المسلمين، والتي صارت سابقة حضارية تطورت فيما بعد بحسب معطيات كل عصر، بل عد البعض خيمة رُفَيْدَة هذه أول مستشفى في الإسلام، بالإضافة إلى رُفَيْدَة، كانت هناك طبيبة أخرى اسمها الشِّفاء بنت عبد الله رضي

---

[24] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س،ج 9، ص 98.

[25] نفسه، ص 319.

[26] سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قروبللي، ج 3، ص 479، دار الرسالة العالمية: دمشق.

[27] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س، ج 10، ص 417.

الله عنها، فقد كانتا هاتين المرأتين ممن لهن علم بالتطبيب في زمانهما، وكانت رُفَيْدَة كما قال الإمام الطبري: تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه –أي سعد بن معاذ– السهم بالخندق: **(اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب)**[28].

وفي الأدب المفرد: عن محمود بن لُبيد قال: لما أصيب أَكْحَلُ سعد يوم الخندق، فَثُقُلَ، حولوه عند امرأة يقال لها: رُفَيْدَة، وكانت تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: **(كيف أمسيتَ؟)**، وإذا أصبح: **(كيف أصبحتَ؟)**، فيخبره[29].

ب–الرسول ﷺ يطلب من امرأة استئناف نشاطها في مجال التطبيب:

وهذا موقف آخر لرسول الله ﷺ وهو يطلب من الشفاء استئناف عملها في مجال التطبيب بعدما أسلمت وعلقت عملها في هذا المجال، فقد ورد أن رجلا من الأنصار خرجت به نَمِلَة[*] فدل أن الشفاء بنت عبد الله ترقي من النملة، فجاءها فسألها أن ترقيه، فقالت: والله ما رقيت منذ أسلمت، فذهب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي قالت الشفاء، فدعا رسول الله ﷺ الشفاء فقال: **(اعرضي علي)**، فأعرضتها عليه، فقال: **(أرقيه وعلميها حفصة كما علمتها الكتاب)**[30].

وتقديرا من النبي ﷺ، كان يعطي رفيدة حصة مقاتل، فقد ذكر أبو عمر عن الواقدي أنها شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ فأسهم لها سهم رجل، فنلاحظ أن النبي ﷺ قد أعطى للمرأة مثل ما أعطاه للرجل ولم يفضل هذا الأخير عليها رغم أنه خرج إلى ساحة المعركة وعرّض نفسه للهلاك، وهذا ما يجعلنا نستنتج منه قيمة هذا العمل وقيمة المرأة.

إن تشجيع النبي ﷺ للمرأة على المشاركة في الأنشطة التطوعية، وطلبه من أخرى استئناف عملها في مهمة التطبيب، هي إشارة واضحة على تكريمه ﷺ للمرأة، فمن يقلد أهم مهمة في المجتمع لا شك أنه مهم كذلك، ومجال التطبيب في عصرنا الحالي بكل أنواعه من التوليد، والطب البدني العام، وغيرها في أمس الحاجة إلى المرأة، خاصة وأن هذه الأعمال تتناسب مع طبيعتها، وفطرتها المتسمة بالليونة والرحمة، فمشاركة نسائنا فيه يساعد المجتمع على التقدم والمضي قدما نحو غد أفضل.

المجال العسكري

من بين ما كرم به ﷺ المرأة السماح لها بالمشاركة مع الرجل على جبهات القتال، فقد كان لها حضور قوي ومواقف بطولية في الميدان العسكري مثلها مثل الرجل، وشهد لها الرسول ﷺ بهذه البطولة وشجعها على مواصلة

---

[28] الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، ج 3، ص 443، دار الكتب العلمية: بيروت.

[29] كتاب الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهري، م 1، ص 631–632، ط الأولى، ت 1998م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض.

[*] النمِلة: قروح تخرج في الجنب.

[30] أسد الغابة في معرفة الصحابة، م.س، ص 1539.

المسير، فكانت تحضر معه الغزوات، تسقي العطشى، وتسعف المرضى، وتقاتل العدو، فكانت مهمة النسوة في الحروب مقسمة على النحو التالي:

أ-سقي العطشى من المجاهدين:

عن أم سنان الأسلمية قالت: لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر جئته فقلت: يا رسول الله، أخرج معك في وجهك هذا أخرز السقاء، وأداوي المريض والجريح إن كانت جراح، وأبصر الرحل، فقال رسول الله ﷺ : **(أخرجي على بركة الله فإن لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم، فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا)**، قلت: معك. قال: **(فكوني مع أم سلمة زوجتي)**، قالت: فكنت معها[31].

ب-مداواة الجرحى ومواساة المصابين:

عن الربيع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي القوم، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة، وفي رواية: كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة[32].

ج-القتال بالسيف للدفاع عن الإسلام وعن الرسول عليه الصلاة والسلام:

هذا موقف ونموذج من نماذج بطولة المرأة في هذا الميدان، نسيبة بنت كعب، أم عمارة، التي مدحها النبي ﷺ على بسالتها وشجاعتها، فقد شاركت أم عمارة في الدفاع عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد مع تسعة من الرجال بايعوا النبي ﷺ على الموت، فأبلت في هذا اليوم بلاء حسنا، وقد شهد لها الرسول ﷺ بذلك في قوله: **(ما التفت يمينا ولا شمالا إلا رأيت نسيبة تقاتل دوني)**، وكان معها ابنها عبد الله وزوجها، ولبلائهم قال فيهم الرسول ﷺ: **(رحمكم الله أهل البيت)**، يقول ولدها عبد الله: جرحت يومئذ جرحا في عضدي اليسرى، فقد ضربني رجل كأنه الرقل[*]، ولم يعرج علي ومضى عني، فجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله ﷺ: **(اعصب جرحك)**، فأقبلت أمي إلي ومعها عصائب في حَقْوَيْهَا[**] قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي، ثم قالت: انهض بني.

فضارب القوم، فجعل النبي ﷺ يقول: **(ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة)**، وأقبل الرجل الذي ضرب عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: **(هذا ضارب ابنك)**، فاعترضت له فضربت ساقه فبرك، فتبسم الرسول ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: **(اسْتَقَدْتِ[*] يا أم عمارة)**، ثم قتلت هي وابنها الرجل، فقال النبي ﷺ لها: **(الحمد لله الذي ظفرك، وأقر عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك)**[33].

إن هذا العمل الذي قامت به المرأة في عهد الرسالة كما رأينا لعمل جبار حقا، لكن لم يكن لهذا العمل وهذه

---

[31] كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، ج 10، ص 276، ط الأولى، ت 2001م، مكتبة الخانجي: القاهرة.

[32] مسند الإمام أحمد، م.س، ج 44، ص 527.

[*] الرقل: أي النخلة الطويلة.

[**] جانبي خصرها.

[*] أخذتِ ثأرك- انتقمتِ.

[33] كتاب الطبقات الكبير، م.س، ج 10، ص 384-385-386.

البطولات أن تخرج إلى الوجود لو لم يعط للمرأة فرصة، ولو لم يتم تحريرها من قيود الجاهلية، وعلى غرار هذا يمكن للمرأة المعاصرة القيام بعدة وظائف مشابهة لهذه مثل وظيفة الأمن لحماية المواطنين، أو المشاركة مع البعثات الطبية في المستشفيات العسكرية التي ترسل لمناطق الحروب والنزاعات إلى غير ذلك من الوظائف.

المجال الديني

يتجلى تكريمه ﷺ للمرأة في هذا المجال من خلال تشجيعها على حمل مشعل الإسلام والذود عنه بالغالي والنفيس لأجل تبليغه للعالمين، فبعدما بلغ الظلم في الجاهلية ذروته وكان الوضع العالمي قاتما نزل الوحي على رسول الله ﷺ معلنا ظهور دين جديد اسمه الإسلام، جاء رحمة للإنسانية عامة رجالا ونساء، فلما أمر الله نبيهﷺ بتبليغ هذه الرسالة في أوساط الناس بقوله –عز وجل– : ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[34]، بدأ الناس يعتنقونه واحدا تلو الآخر، فلم تتردد المرأة من الإيمان بهذه الرسالة والتضحية عليها بالنفس والنفيس، فقد برزت منذ الوهلة الأولى عدة نساء آمنّا بالنبي ﷺ حق الإيمان ووهبن أنفسهن لنصرة هذا الدين العظيم الذي جاء لتحريرهن وتحرير الإنسان بصفة عامة.

أ-أولى المؤمنات المكيات المضحية بنفسها نصرة لدينها (سمية بنت خياط):

سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر، هي نموذج من بين النماذج اللواتي أوذين من أجل إيمانهن وصبرن واحتسبن رغم قسوة العذاب وشدته، فأم عمار هي أول شهيدة في الإسلام، وأول دم طاهر أريق فيه، وقد ضربت أروع الأمثلة في التضحية بالغالي والنفيس لأجل نصرة هذه الرسالة، فحين اشتد الإيذاء لرسول الله ﷺ وصحابته لم تكن المرأة بمنأى عن هذا العذاب بل نالت حظها هي الأخرى من الاستهزاء والسخرية والتعذيب من قبل كفار قريش، وكان في مقدمة من نال العذاب هذه المؤمنة الصابرة المحتسبة سمية بنت خياط سابع سبعة دخلوا في الإسلام، يقول عنها ابن الجوزي[35]: ***(سمية بنت خياط –رضي الله عنها–، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وهي أم عمار بن ياسر، أسلمت بمكة قديما، وكانت ممن يعذب في الله –عز وجل– لترجع عن دينها فلم تفعل، فمر بها يوما أبو جهل فطعنها في قلبها، فماتت)*** ، وعن مجاهد قال: أول شهيد كان في الإسلام استشهاد أم عمار. وقد بشرها النبي ﷺ بالجنة، حيث كان يمر عليها هي وأسرتها وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، فيقول لهم: **(صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)**[36].

ب-أولى المؤمنات في يثرب التي ضحت بنفسها لأجل نصرة الرسالة (أم سليم):

هذا نموذج آخر من نماذج المرأة التي آمنت بالرسالة وبقائدها محمد ﷺ حق الإيمان، وضحت بنفسها لأجل نصرة هذه الرسالة وتبليغها للعالمين، هذه الرميصاء بنت ملحان المكناة بأم سليم، كانت –حين أهلَّ الإسلام بنوره على الأرض– نصَفا تخطو نحو الأربعين من عمرها، وكان زوجها مالك بن النضر يسبغ عليها من وارف حبه،

---

(34) سورة الشعراء: الآية 214.

(35) صفوة الصفوة، جمال الدين بن الجوزي، ج 2، ص 32، ط الثانية، ت 1969م، دائرة المعارف العثمانية: الهند.

(36) السير والمغازي، محمد بن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، ص 192، ط الأولى، 1978م، دار الفكر:

وظليل وداده ما ملأ حياتها نُضرة ورغدا وكان أهل يثرب يغبطون الزوج السعيد على ما تتحلى به عقيلته من رجاحة العقل، وبعد النظر، وحسن التبعل، وذات يوم من أيام الله الخالدة نفذ إلى يثرب –مع مصعب بن عمير– أول شعاع من أشعة الهداية المحمدية، فتفتح له قلب الرميصاء كما تتفتح أزاهير الرياض لتباشير الصباح، فما لبثت أن أعلنت إسلامها يوم كان المسلمون –في المدينة– يعدون على رؤوس الأصابع، ثم دعت زوجها لينهل معها من هذا المنهل الإلهي العذب الطهور، ويحظى بما حظيت به من سعادة الإيمان، لكنه لم يشرح للدين الجديد صدرا، ولا طاب به نفسا، بل إنه دعا زوجه بالمقابل إلى الرجوع عن الإسلام والعودة إلى دين الأباء، وتشبث كل بموقفه، فهي تكره أن تعود إلى الكفر بعد الإيمان كما يكره المرء أن يقذف في النار، وهو يتعصب لدين الأباء والأجداد في عناد، وكان له صنم من خشب يعبده من دون الله، فكانت تحاجه في أمره قائلة: أتعبد جذع شجرة نبت في الأرض التي تطؤها بقدميك، وترمي فيها فضلاتك؟، فلما ضاق الزوج ذرعا بحجج زوجته الدامغة غادر المدينة متجها نحو بلاد الشام ولم يلبث فيها إلا قليلا حتى مات على شركه[37]، فخطبها أبو طلحة وقالت له: والله ما مثلك يرد يا أبا طلحة، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فدخل أبو طلحة في الإسلام وكان مهر أم سليم إسلامه[38]، ولم تقتصر خصالها على أنها كانت امرأة مؤمنة راسخة الإيمان، عاقلة وافرة العقل، بل كانت فوق ذلك مجاهدة في سبيل الله، فلكم ملأت رئتيها من غبار المعارك، وخضّبت أناملها من جراح المجاهدين وهي تمسحها بيديها وتحكم عليها الضّماد، فقد شهدت أحدا هي وزوجها أبو طلحة مع رسول الله ﷺ، ودأبت على نقل قرب الماء على ظهرها وإفراغها في أفواه القوم[39]، كما شهدت حنينا أيضا، وقد اتخذت لنفسها يومذاك خنجرا وتمنطقت به، فلما رآه زوجها أبو طلحة قال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها النبي ﷺ: **(ما هذا يا أم سليم؟)**، قالت: خنجر اتخذته حتى إذا دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه[40]، فجعل رسول الله ﷺ يضحك سرورا بما قالت، وقال فيها رسول الله ﷺ: **(دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة(*)، فقلت: من هذا؟)**، قالوا: الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك[41].

إن المرأة الرسالية قد برزت في المجال الدعوي بشكل قوي من خلال تحملها للمشقة والإذاية وذلك إيمانا بقضيتها، ونصرة لدينها، كما بيّنا من خلال هذه النماذج، وهذا ما يوحي لنا أن المرأة في العهد النبوي قد فهمت أن نشر الدعوة مسؤولية وحق للجميع ذكرانا وإناثا، والمرأة المعاصرة بدورها يمكن لها القيام بهذه المهمة من خلال تثقيف من حولها من النساء، والمساهمة للتعريف بهذا الدين عبر وسائل الإعلام المتنوعة.

المجال التربوي/التعليمي

لا شك أن العلم في نظر الإسلام له شأن عظيم، ومكانة عظيمة، ويكفي أن أول ما نزل من القرآن الكريم

---

[37] الإصابة في تمييز الصحابة، م.س، ص 109.

[38] نفسه، ص 109.

[39] صور من حياة الصحابيات، عبد الرحمن رأفت الباشا، ص 105، ط الأولى، ت 1996م، دار الأدب الإسلامي: القاهرة.

[40] الإصابة في تمييز الصحابة، م.س، ص 410.

[*] الخَشْفة: صوت القدمين حين تطأ على الثلج.

[41] صحيح مسلم بشرح النووي، م.س، ج 16، ص 11.

هو الأمر بالتعلم، ولذلك فالرسول ﷺ اهتم بهذا الجانب اهتماما كبيرا، وأولى له عناية خاصة، وخصص مجالس العلم للمرأة لتحصل على ما تشاء من أدب، وثقافة، وتهذيب، حتى تتعلم أمور دينها، وتحسن القيام بوظائفها في الحياة.

1-تنظيم الرسول ﷺ ندوات ثقافية خاصة بالنساء:

حرص النبي ﷺ على أن يجعل للمرأة يوما يعظها فيه ويعلمها أمور دينها ودنياها، من ذلك ما ورد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال: **(اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا)**، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله[42] .

2-المعلمة الأولى في الإسلام:

هذه الشفاء بنت عبد الله المعلمة الأولى في الإسلام، جعل لها النبي ﷺ دارا ومركزا علميا تعلم فيه بنات جنسها القراءة، والكتابة، مما يدل على اهتمامه ﷺ بتعليم المرأة وتثقيفها، وبذلك نبغ منهن عدد كثير برزن في شتى أنواع المعرفة، بل ظهر بينهن معلمات كن مراجع في الدين مثل عائشة الصديقية رضي الله عنها التي كانت المرجع الأول في الحديث والفقه وغير ذلك، ومما يبين مكانة الشفاء في هذا الجانب ما روته رضي الله عنها حيث قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: **(ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة)**[43]

كما أن النبي ﷺ كان يرشد النساء ويجيب من تسأل، ويسمح لها بالمناقشة والحوار حتى تفهم وتصل إلى ما تريد، ومن ذلك أن الشفاء هذه كانت تأتي إليه ﷺ وتناقشه في أمور كثيرة، وكان ﷺ يدهش لسعة معارفها، وعمق اهتماماتها، واكتشف في شخص هذه المرأة موهبة، ونموذجا للمرأة المسلمة التي يمكنها أن تلعب دورا بارزا في تطوير المجتمع الإسلامي.

3-تبادل الحوار بين النبي -عليه الصلاة السلام- وإحدى الصحابيات حول قضايا تعليمية:

هذا نموذج آخر، وموقف آخر لرسول الله ﷺ وهو يعلم المرأة ويوجهها ويشجعها على التعليم، ويستمع إلى آرائها بكل تواضع، ويسمح لها بالمناقشة والحوار حتى تفهم وتصل إلى مبتغاها، هذه أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، خطيبة النساء، وسفيرتهن إلى رسول الله ﷺ، والتي قد عرفت بحسن المنطق، وقوة البيان، وذات يوم أتت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: إني رسول عن ورائي جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء قواعد بيوتكم، حاملات أولادكم، وإن الرجال فضلوا بالجمعة والجماعات، وشهود الجنائز، والجهاد في سبيل الله، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه ثم قال: **(هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من**

---

[42] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س، ج 13، ص 305-306.

[43] سنن أبي داود، م.س، ج 6، ص 35.

هذه؟) ثم التفت إليها فقال: **(افهمي أيتها المرأة، واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته يعدل ذلك كله)**[44].

هذا الموقف يعطي لنا صورة صادقة لمكانة المرأة في عهده ﷺ، وكيف كان يسمح لها بالأسئلة والمناقشة وإبداء الرأي، فكانت المرأة تسأله عن كل شيء لتكون على علم وبصيرة، وكانت أم سليم تقول: من واجبنا أن نسأل الرسول ﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه في عمياء، والنبي ﷺ كان لا يتوانى بتوجيههن وإسداء النصح لهن، فقد دخل على الربيع بنت معوذ إحدى قريباته غداة عرسها فوجد عندها نساء يضربن بالدف ومن قولهن: وفينا نبي يعلم ما يكون في غد)، فقال ﷺ: **(دعن هذا القول)**[45]، فعلمهن أنه لا يعلم الغيب إلا الله.

من خلال هذا المطلب يتبين لنا حجم المشاركة للمرأة على عهد الرسول ﷺ في مجالس العلم والأدب وكم أولى النبي ﷺ من الاهتمام لتعليمها، ونستنتج من هذا أن تعليم المرأة أمر لا بد منه وخصوصا نحن اليوم في عصر العلوم والتكنولوجيا كل شيء يتوقف على العلم، وهذه المواقف كافية لسد أفواه من يزعم أن المرأة موضعها المطبخ، ورسالتها الطبخ، هذا والله حمق وغباء ما أنزل الله به من سلطان، والإسلام بريء من هذا الفهم السقيم.

خاتمة

قبل إغلاق قوس هذا الموضوع الشيق الممتع أود أن أسطر بعض الاستنتاجات التي استنتجتها منه، وهي كالتالي:

-إن الله -سبحانه وتعالى- لما خلق المرأة خلقها من نفس واحدة كالرجل سواء لا فضل لأحد على آخر، كل ما في الأمر أنه سبحانه وتعالى أودع بعض الخصائص والمميزات في الرجل ليست في المرأة حتى تسكن إليه وتستشعر قيمته، وخلق في المرأة خصائص ومميزات أخرى ليست في الرجل حتى يسكن هو إليها ويعملان سويا ليكملا مهمة الاستخلاف في الأرض.

-إن الإنسان بشقيه -الرجل والأنثى- كلما ابتعد عن الله سبحانه وتعالى وتمرد عليه إلا انتكست ومسخت فطرته، وصار يسخّر كل خاصية ميزه الله بها ليلحق الأذى بالطرف الآخر، ويجرده من حقوقه وكرامته التي وهبها الله له، فتصير المرأة في نظر الرجل مجرد خادمة له، أو متنفسا لقضاء شهوته، وينعكس هذا سلبا على تنمية المجتمعات وبناء الأجيال والأمم كما حدث للمجتمعات الجاهلية قبل مجيء الإسلام.

-لقد أنقذ النبي ﷺ المرأة من قبضة الجاهلية وحررها، وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق، وجعل لها مكانة سامية تناسب مقامها، وبيّن لها أنها إنسان لها رسالتها في الحياة.

-من رحمة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام بالمرأة أن جعل الرجل هو المكلف بالمهمات الصعبة والأعمال الشاقة، في حين جعل المرأة ملكة تتربع على عرشها، وترك لها الاختيار في الكثير من المجالات إن شاءت قامت بها وإن شاءت تركتها، ومما يُظهر سماحة الإسلام أكثر في تكريم المرأة أن أباح لها الخروج -بشروط بديهية لكل

---

[44] أسد الغابة في معرفة الصحابة، م.س، ص 1476-1477.

[45] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س، ج 9، ص 109-110.

الفطر السليمة– لمزاولة مختلف الأنشطة إذا دعت الضرورة.

–إن مواقف النبي ﷺ مع المرأة تجعلنا نطمئن أن المرأة المسلمة فعلا هي سيدة النساء، وقد أكرمها ﷺ غاية التكريم وما يتهمنا به الأعداء ما هو إلا ضرب من خيال.

– من يحاول طمس هذه الحقائق الساطعة –التي جاء بها الإسلام– كي يشعر المرأة المسلمة بالدونية فما هو إلا متعصب حاقد على نعمة الإسلام وسماحته، أو هو جاهل بأمور الإسلام يقتبس تصرفاته من تقاليد المغيرة وأبي الحكم.

في رأيي أن هذا الموضوع جدير بالاهتمام لمعرفة مكانة المرأة المسلمة، ورد الشبه التي يختلقها الأعداء لمحاولة التقليل من شأن المرأة المسلمة واتخاذ هذا الباب وسيلة للطعن في ديننا الحنيف، وكذلك لفهم الأمور على حقيقتها كما هي؛ لأن ما نراه اليوم من تضارب الأراء داخل الأسر المسلمة حول حرية المرأة–مع وضوحها في سيرة سيد المرسلين– ما هو إلا سوء تفاهم ما بين جاهل بأمور دينه يحاول إرجاع المرأة إلى العهد الجاهلي القديم، –وذلك بتجريدها من جميع الحقوق التي أعطاها لها الإسلام– وبين أمي مغتر بشعارات الثقافات والتقاليد الأجنبية التي أعطت للحرية طابعا جديدا، وصورة أخرى تشمئز منها النفوس، وتأباها الفطر السليمة، وأيم الله أنها عين العبودية والذل التي كانت عند أهل الجاهلية وحاربها الرسول ﷺ، فالحرية كما يقول علال الفاسي[46] لا تعني أن يفعل الإنسان ما يشاء ويترك ما يريد..، بل تعني أن يفعل الإنسان ما يعتقد أنه مكلف به وما فيه الخير لصالح البشر أجمعين..، إذ الحرية خلق ذاتي وشخصي للإنسان تتجلى آثاره في أعمال الإنسان الصادرة عن شعوره بالتكليف وليست غريزة، فلو كانت غريزة لما استطاع أحد تفويتها. ومما يؤكد هذا المفهوم قول هند بنت عتبة لرسول الله ﷺ: وهل تزني الحرة؟ قال: **(لا والله ما تزني الحرة)**، فتشويههم للمصطلحات وطمسها هو الذي يصور للعقول القاصرة أن المرأة المسلمة بعيدة عن الحضارة وعن الحرية والمساواة أما في الحقيقة فهي الحرة وهي النسخة الأصلية –إن صح التعبير– كيف لا تكون كذلك وهي تؤدي أوامر خالقها، وتجتنب نواهيه، تعرف مسؤوليتها وتسرع للقيام بها، وتحصل على حقوقها دون مطالبتها، إنه حقا قمة التكريم. وهنا نطرح تساؤلا لماذا لا نشجع الناشئة على الإقبال لدراسة سيرة الرسول ﷺ حتى يعرفوا قيمة المرأة ليحترموها، ويفهموا دسائس وشبه الأعداء التي يرموننا بها ليدحضوها؟

المصادر والمراجع المعتمد عليها في البحث:

- **القـــــــرآن الكريم.**
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، الطبعة الأولى، تاريخ الطبع 2001م، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 1995م، دار الكتب العلمية: بيروت.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 1988م، دار الكتب العلمية: بيروت.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، إبراهيم الزيبق،

[46] مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ص 248، ط الخامسة، ت 1993م، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

محمد بركات، الطبعة الأولى، تاريخ الطبع 2001م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر: بيروت.
~ **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، تاريخ النشر 2003م، دار الكتب العلمية: بيروت.
~ **المرأة المسلمة في موكب الإصلاح السياسي والاجتماعي (تاريخ – ووثائق)**، أسامة أبو زيد، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 2009م، شروق للنشر والتوزيع: مصر.
~ **صفوة الصفوة**، جمال الدين بن الجوزي، الطبعة الثانية، تاريخ النشر 1969م، دائرة المعارف العثمانية: الهند.
~ **صحيح مسلم بشرح النووي**، يحيى بن شرف النووي، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 1929م، المطبعة المصرية: الأزهر.
~ **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1998م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض.
~ **كتاب الطبقات الكبرى (طبقات ابن سعد)**، محمد بن سعد الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، تاريخ الطبع 2001م، مكتبة الخانجي: القاهرة.
~ **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، المطبعة الخيرية: مصر.
~ **كتاب السير والمغازي**،محمد بن إسحاق المطلبي، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى، تاريخ الطبع 1987م، دار الفكر.
~ **سنن ابن ماجة**، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، الطبعة الثانية، تاريخ النشر 2015م، دار الحضارة للنشر والتوزيع: الرياض.
~ **فتح الودود في شرح سنن أبي داود**، محمد بن عبد الهادي السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 2010م، مكتبة لينة: السعودية.
~ **المرأة بين الفقه والقانون**، مصطفى السباعي، الطبعة السابعة، تاريخ الطبع 1999م، مكتبة الوراق: الرياض.
~ **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، عبد الحليم أبو شقة، الطبعة السادسة، تاريخ النشر 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع: الكويت.
~ **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الرحمن السهيلي، دار الكتب العلمية: بيروت.
~ **صور من حياة الصحابيات**، عبد الرحمن رأفت الباشا، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 1996م، دار الأدب الإسلامي: القاهرة.
~ **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، علال الفاسي، الطبعة الخامسة، تاريخ النشر 1993م، دار الغرب الإسلامي: بيروت.
~ **السيرة الحلبية**، علي بن برهان الدين الحلبي، سنة الطبع 1400، دار المعرفة: بيروت.
~ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عز الدين بن الأثير، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 2012م، دار ابن حزم: بيروت.
~ **سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة**، فريد الأنصاري، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 2003م، ألوان مغربية: الرباط.

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قروبللي، دار الرسالة العالمية: دمشق.